

مآسي بيروت المتكررة تتحول إلى لوحات تجهيزية

لبنان يتجلى حبيسا في مرآة محدّبة عبر رسومات هناء عبد الخالق



وجود ميزته السكنون القاتل



بيروت من قوة الحضارة إلى دخان الموت

يموت عندما تغلق الدائرة.. الفقر والموت يدوران في دائرة مبهمة.. العبدية في تشبّت عائلة برؤية مرآة محدّبة ومهشمة الأجزاء متناثرة في أرجاء اللوحة.

وفي مكان آخر من صفحاتها كتبت الفنانة تعليقا على عمل فني لها رسمته من وحي انفجار مرآة بيروت الفادح الأثر، مشغول بذات فكرة الدائرة المتراجحة بين

أن تكون مُسطحة أو محدّبة، ويمكن اعتباره كتابا تساهم في ترسيخ انشغالها القلبي بوطنها وبمدينة بيروت "تناسوا بان المرأة تخزن ما ينعكس على سطحها/ هكذا تحدثنا الأسطورة/ فبيروت تعكس نجما سيطلع داخلها/ لن يعرف الاستقرار/ إلا عندما تتحول الأجزاء إلى طيور جارحة.. تداعبكم مخالبا/ تحلمكم بعيدا إلى الأعلى/ لترميكم مجددا دون قرار.."

ويبقى نص قصير، كتبه الفنانة/ الكاتبة لخصت فيه رؤيتها لهذا العام الجديد الذي انتهت بتعاظم الماسي وافتتح بجراح جديدة، مشيرا إلى أن الأمل موجود حتى لو كنا لا نثق به "في هذا الزمن الصعب الذي يرتفع كجدار ويتراكم حوله الدمار.. الحب يفتح كوة فيشرق اللون على لوحة مضبّبة بالوان نهار شمس يشحن طاقتنا على التعبير.. في العام الجديد سنصمد معا بالحب وباللون وتتوالى التقنيات حتى تسوية الجدار بالأرض.."

والفنانة هناء عبد الخالق إضافة إلى كونها فنانة تشكيلية شاركت في العديد من المعارض داخل لبنان وخارجه، هي أساتذة الفن وعلوم الفن في الجامعة اللبنانية. وصدر لها أخيرا كتاب "فن التجهيز: إشكالية العلاقة بين المبدع والمقلد" الذي اعتبر إضافة قيّمة إلى المكتبة العربية ومرجعا مفيدا لكل مهتم بمادة الفن، لاسيما المعاصر، والأهم من ذلك أنه كتاب زاخر بالتعبير التقني/ الفنية التي غالبا ما يصعب على الكتاب في مجال الفن أن يعثروا عليها كمرادفات لتعابير اجنبية.

أكدت عبد الخالق على وهمية المشاهد في لوحاتها عبر تاطير الدائرة المحدبة التي يحضر فيها هؤلاء البشر إلى جانب مشهد النهر، بمشهد آخر يكاد لا يرى بوضوح لضيق المساحة التي يحتلها. ولكنه مشهد من دون شك أكثر واقعية والتزاما بكيفية رؤية البشر لما يحيط بهم من معالم "واقعية" على الأقل عبر منظراهم الضيق المحكوم بيولوجيته.

بحار الناظر إلى لوحات هناء عبد الخالق، التي تمتاز بتقنية عالية في تصوير المشاهد على تنوعها بشكل محدّب، إن كانت الفنانة أرادت إقامة حوار علمي/ أكاديمي، أو أرادت من خلالها إقامة تحدّ شخصي/ مفهومي

مع الأشكال وتعدّد تجلياتها البصرية، أو أنها أرادت في موقع ثالث أن تكثف معالم مدينة تحبها ووطن يسكن قلبها في حضان وفي حفظ كرة زجاجية بكماء وغليلة البشرية. وإن كان ثمة لون ملك في كل لوحات الفنانة، فهو اللون الرمادي/ الرصاصي التي تسببه وتطلبه، وتضعه في معظم لوحاتها. هذا اللون، و"خامته"، إذا صحّ التعبير، يكشف عن حضور أدنى للون وردي مكموم الفاه امتزج به، أي باللون الرمادي حدّ الاعتلال. هذا الرمادي هو اللون الأصدق في معظم لوحات الفنانة، وهو الأكثر إفصاحا عن متاهة الحياة وأغوائيتها التي يعيشها وطن سجين ذاته وسجين الآخرين.

خواطر مرسومة

تكتب الفنانة عبد الخالق على صفحاتها الفيسبوكية خواطر ترفقها عادة بلوحاتها، ومنها العديد ممّا عرضته في صالة "إكزود"، خواطر تالف من بين أفكارها وما ترسم. كتبت "لا يوجد تعريف محدّد للفقر.. ربما هو الإنسان الذي

قدّمت صالة "إكزود" الفنية، سنة 2019، معرضا للفنانة اللبنانية هناء عبد الخالق، وقد يكون بدا حينها بالنسبة إلى الكثيرين معرضا تشكيليّا يتفنّن في تصوير المشاهد الطبيعية والمدنية المنعكسة على المرايا المحدبة، ليكتشف، بعد سنتين من عرضه، أنه كان معرضا يؤطر مظاهر وطن هو رهين اختلالات في الرؤية وحبيس اختناق ملوّن وصورة من صور «الغثيان» المميز لوجود جفت فيه أصول الحركة.

ترين ليست لها تدرجات ولا ظلال ندية، حيث إنها لقيت مصرعها تحت ضربة ريشة واحدة..

في إحدى اللوحات أرادت الفنانة اللبنانية أن تؤكد على "وهمة" المشهد وعدم إدراك البشر الذين رسمتهم مارين فيه إلى جانب نهر تطفو على سطحه زوارق صغيرة، وهمية.



الفنانة هناء عبد الخالق تكثّف عبر لوحاتها معالم مدينة تحبها ووطن يسكن قلبها في حفظ كرة زجاجية بكماء وغليلة البشرية

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت - أقامت الفنانة والكاتبة والاستاذة الجامعية هناء عبد الخالق في العام 2019 معرضا في صالة "إكزود" البيروتية تحت عنوان "رؤى محدّبة"، ضم 29 لوحة مشغولة بمادة الأكريليك. أعمال جلبت إلى فضاءها كل الألوان بزخمها وخفوتها لترسم صورا بعيدة كل البعد عن معانسي الألوان الاحتفائية بوجود مفرح.

وهمة المشاهد

أول ما يراه المشاهد في تلك الأعمال هو انعكاسات المشاهد الطبيعية والمدنية في مرايا محدّبة غيرت من معالمها الاعتيادية، وليست على الهيئة التي تظهر بها لو كانت تُرى بالعين المجردة. انقلابات بصرية وتشوهات في المشاهد حضرت بمعان قاسية لأنها، وتحديدًا، عكست مشاهد يُفترض أن تكون مُريحة للنفوس كالمباني الملونة ذات الشبابيك الواسعة والصفيفة المزاج والشوارع المكسوة بالأشجار الخضراء. ولوحات الفنانة عبد الخالق تخاطب العين قائلة "ما ترينه ليس انعكاسا صحيحا للواقع. وإن لكَ أن تتجولي في غزارة الألوان وتمزجها. تذكرني دائما أنها حبيسة مرايا محدّبة تمتصّ النور ولا ترده، مثلها كمثل القلوب السوداء في الفضاء. انصتي يا عين، فانت لا تسمعين رقرقة العصافير ولا همسات النسائم لأن الألوان الحاضرة في ما

مفارقة الفن الأفريقي المعاصر: إشادة عالمية وتجاهل محلي

ويعلق كيماي قائلا "هذا التطور هو الأهم والأكثر تأثيرا في مشهد الفن بنيريوي، ولولاها لكان من الصعب علينا الاستمرار".

ويسعى أرميتاج إلى مساندة زملائه الفنانين عن طريق المعهد الذي أسسه تحت اسم "معهد الفن المعاصر بنيريوي"، ويشمل المعهد مساحة للعرض ومكتبة وأرشيفا وبرامج مختلفة للترويج للفنون، والحفاظ على التراث الفني لشرقي أفريقيا.

وعلق ليسوني، المدير الفني لمتحف "هاوس دير كونسنت" بقوله، "ليست هناك في الحقيقة معرفة يمكن مشاركتها عن عالم لا يحتاج إلى الاستكشاف ولكنه بحاجة إلى أن يحظى بالتقدير".

الفن منذ عديدين من الزمان، وحاز على شهرة دولية خاصة لأعماله السياسية. ويضيف "لكننا لا نستطيع الاستمرار في التوجه نحو الغرب للحصول على الدعم"، كما أن فرص الوصول إلى وبواجه الكثير من الفنانين الأفارقة عوائق في بلدانهم بدءا بالافتقار إلى المؤسسات الثقافية والموارد المالية، وصولا إلى التعرّض للعزلة الاجتماعية والقمع السياسي.

ويشير كامواتي إلى أن "مكانة الثقافة والفن تقع على الهامش في المجتمع الكيني". وبالمثل يعاني الفنان الكيني إيماسو كيماي الذي ينتمي إلى جيل أصغر سنا من الافتقار إلى التقدير. ويقول إن "الناس لا يعتقدون أن الفن يعدّ مهنة وطريقة للحياة"، ويضيف أنه ظل لفترة طويلة لا يستطيع أن يخبر والديه بأنه يريد أن يصبح فنانا.

وبسبب عدم وجود دعم من الجهات العليا، صار الدعم يأتي من القاع، مثل بعض المجموعات التعاونية ك"براش تو"، والتي تضم 12 فنانا يتقاسمون أستوديو ومساحة لعرض الأعمال الفنية. ويقول كيماي "إننا كمجموعة نعتني ببعضنا البعض". وتساعد مجموعة نيريوي على إتاحة المعارض وفرص التعليم، وتعدّ قوة دافعة في ما يتعلق بنشر الوعي حول مشهد الفن المعاصر.

المعارض الفردية التي تخصّص لفنان واحد بعينه. ويقول أندريا ليسوني، المدير الفني للمتحف، "لا نستطيع القول إننا نعرض تاريخا بأكمله، غير أن التاريخ المعروض هنا يتسم بالقوة، وكل ما بوسعنا فعله هو أن نتيح هذه المساحة للفنانين".

إيماسو كيماي
الناس في كينيا لا يعتقدون أن الفن يعد مهنة وطريقة للحياة

ومن المهمّ بالنسبة إلى أرميتاج أن يبين لسزوار المعرض من هم الفنانون الذين تأثر بهم. ويوضح قائلا "لولا هؤلاء الفنانين لما أصبحت رساما وفنانا، إنهم بمثابة الأرضية للكيفية التي بنيت عليها قواعد فكري".

وعلى المستوى الدولي يلاحظ أن الفن الأفريقي المعاصر بدأ يكتسب المزيد من التقدير والاهتمام في العشرية الأخيرة. فالفنان ويليام كترديدج، الذي ينتمي إلى جنوب أفريقيا بمجموعة أعماله واسعة النطاق في مجال الوسائط المتعددة، صار فنانا مفضلا في المشهد الفني العالمي منذ وقت طويل. وتم مؤخرا عرض أعمال الفنان الغاني إيل أناتسوي في متحف "هاوس دير كونسنت"، كما أصبح المزيد من أعمال فنانين منطقة شرقي أفريقيا محط اهتمام عالمي، مثل الفنانين بيترسون كامواتي ووانجيشي موتو.

غير أن هذا التقدير ليس كافيا لإحداث تحول دائم. ويقول الفنان بيترسون كامواتي إن قاعات عرض الفنون وهواة جمع الأعمال الفنية "يمثلون أهمية وعوامل للتغيير". ويمارس كامواتي

وفي نيريوي تبدو المؤسسة الفنية الوحيدة التابعة للدولة، هي تلك القاعة العتيقة والمهملة لعرض الأعمال الفنية بالعاصمة الكينية، حيث تتركز الأثرية على المعارضات، بالإضافة إلى المتحف الوطني الذي يستضيف معارض فنية من أن إلى آخر.

وينتقد أرميتاج الوضع قائلا "إن عدم الاعتراف بأهمية التاريخ وبحقيقة أن هناك تاريخا للفن بالمنطقة سواء في كينيا أو خارجها، يمثل إساءة وضرا كبيرا، كما أنه لا يعبر عن حقيقة وضع الفن لدينا".

ويريد أرميتاج ومتحف "هاوس دير كونسنت" أن يغيّر هذا الوضع. ويعرض "فرمان الفردوس" أعمال أرميتاج الفنية إلى جانب أعمال فنانين أكبر سنا من شرقي أفريقيا أثروا فنيا في أعماله. ويعدّ هذا المعرض حدثا نادرا في

رغم أن الفنانين الأفارقة المعاصرين يحظون بتقدير لا نظير له على المستوى العالمي، حيث أن المتاحف العالمية تحتفي بمنجزهم الفني الذي يستمدّ جذّته وطرافته من التراث الأفريقي وأصواته الخاصة، إلا أن المشهد في بلدانهم يبدو مغايرا تماما، حيث لا يقابلون إلا بالتجاهل واللامبالاة.

في كينيا، كما أن تراث البلاد الثقافي ليس متاحا بسهولة". ويضيف "إنك كفنان صاعد لا يمكنك أن تتعلم وتفهم بمفردك، ما هي المدارس الفنية التي يمكن أن تتخذها نموذجا لأعمالك". ورغم كل ما سبق، إلا أن أرميتاج أصبح بسرعة أحد أهم الرسامين المعاصرين على الصعيد الدولي، فمجزه الفني يحظى بالإشادة على المستوى الدولي في حين أنه ما انفك يتلمس بوابد اعتراف به على المستوى المحلي.



فن أهم المدارس العالمية الحديثة

الفنان الكيني مايكل أرميتاج يقر بأن لا أهمية كبيرة للمؤسسات الفنية في بلده، كما أن التراث الثقافي ليس متاحا بسهولة

